حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

اللآليء الحسان في تفسير أعظم آية في القرآن
﴿آية الكرسي﴾

تأليف

أ. د/ أحمد سلامة أبو الفتوح صالح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

ووكيل كلية أصول الدين والدعوة

فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللآليء الحسان في تفسير أعظم آية في القرآن (آية الكرسي)

أحمد سلامة أبو الفتوح صالح.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Ahmedsaleh.el.8.82@azhar.edu.eg

يهدف البحث إلى بيان أن أعظم آيات القرآن آية الكرسي، ففيها من الثمرات ما يحظى به من داوم على قراءتها، فهي آية جامعة لمعانٍ عظيمة يستشعرها المؤمن كلما تدبرها، فيزداد سمواً في معارج القبول، فقد دل مفتتحها على أن الله هو المتفرد باستحقاق العبودية، وهذا هو المهم الذي أرسل الله من أجله الرسل، ودلت على أن الله هو الحي الحياة الذاتية الكاملة التي ليس لها انقطاع ولا زوال لا قبل ولا بعد.

وهو تعالى القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن خلقه، وما من شيء إلا وقيامه بأمره، وكونه تعالى قيومًا يستحيل معه أن تأخذه سنة أو نوم، فهو تعالى قائم على كل نفس بما كسبت، ولله ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيراً، فالواجب أن نخضع له خضوع تذلل وطاعة، ولا نعبد إلا هو، ولا يجرؤ أحد على أن يشفع لأحد عند الله إلا بإذنه له في الشفاعة، وعلم الله تعالى محيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولا يعلم أحد شيئًا من معلوماته عز وجل وذاته وصفاته إلا ما أعلمه الله، وإن علم الخلق كائنًا من كان ناقص.

وهذا العلم الإلهي الكامل المحيط بكل شيء لهو من أعظم الأدلة على تفرده بالألوهية، ويجب الإيمان بوجود الكرسي وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، والله تعالى يحفظ السموات والأرض ولا يثقل عليه ذلك، وهذا دليل على تفرده تعالى بالألوهية، وبطلان عبادة ما سواه، وهو سبحانه (العلي) الذي ليس فوقه شيء، (العظيم) الذي كل شيء أمام عظمته حقير صغير.

والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: اللآليء الحسان؛ آية الكرسي؛ أعظم آية؛ القرآن الكريم.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

In the name of God the most Merciful, the most Compassionate

The good pearls in the interpretation of the greatest verse in the Qur'an (Ayat Al-Kursi)

Ahmed Salama Aboul Fotouh Saleh
Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Ahmedsaleh.el.8.82@azhar.edu.eg

The research aims to show that the greatest verses of the Qur'an Ayat Al-Kursi, in which the fruits of what he enjoys from the constant reading, it is a verse of great shine that the believer senses whenever he manages it, so it increases in the height of acceptance, its opening indicated that God is the unique deserving of slavery, and this is the important thing for which God sent the messengers, and it indicated that God is the living full self-life that has no interruption or demise neither before nor after, and he is the Almighty Qayyum who himself And he dispensed with his creation, and there is nothing but doing his bidding, and being a Almighty Qayum with which it is impossible to take him a year or sleep, for he is the Almighty based on every soul with what he has earned, and God has what is in the heavens and what is on earth creation, king and management, It is obligatory to submit to him in humiliation and obedience, and we do not worship except him, and no one dares to intercede for anyone with God except with his permission to him in intercession, and the knowledge of God Almighty surrounds all beings past, present and future, and no one knows anything of his information Almighty and himself and his attributes except what God has taught, and the science of creation is whoever was incomplete. This complete divine knowledge surrounding everything is one of the greatest evidence of its uniqueness in divinity, and it must be believed in the existence of the chair and that it is the greatest creature after the throne, and God Almighty preserves the heavens and the earth and does not burden him with that, and this is

evidence of his uniqueness in divinity, and the invalidity of worshiping anything else, and he is the Almighty (the Most High) who is not above him, (the great) who everything in front of his greatness is despicable and small. Praise be to Allah, Lord of the Worlds.

Keywords: Pearls Hassan - Ayat Al-Kursi - The greatest verse - The Holy Quran.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢). ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١). أما بعد:

فإن القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية ومشكاة حضارتها، أنزله الله على قلب رسوله محمد ﷺ رحمة للعالمين، فأرشد به إلى أحسن السبل، وهدى به إلي أقوم الطرق.

ولا ريب أن تدبر القرآن من أسمى العلوم التي ينبغي للمسلم الحرص عليها ليمكنه ذلك من فهم معاني القرآن الكريم، فقد اشتمل هذا الكتاب على آيات كثيرة، بالعمل بها تخرج الأمة من المعاناة التي حلت بها في مشارق الأرض ومغاربها، وترفع شأنها، وتعيد لها مجدها وكرامتها التي سلبت منها، وإن أعظم هذه الآيات وأفضلها وأجلها آية الكرسي، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فالاحتفاء بها قراءةً وتدبراً وعملاً أوجب، والاعتصام بها سبب لنيل سعادة الدارين.

كيف لا، وفيها من الثمرات والنفحات ما يحظى به من داوم على قراءتها، فهي آية جامعة لمعانٍ عظيمة يستشعرها المؤمن كلما تدبرها، فيزداد إيماناً وتسليماً وسمواً في معارج القبول،

هي آية عظيمة لعظمة ما ورد فيها من تعظيم لله جل جلاله، ولما لقارئها من الأجر العظيم، ولأنها له حصن حصين من الشياطين.

فما أحوج المسلم أن يعيش في ظلالها، ويحيا بتعاليمها، ويسمو باستظهارها، والتدبر فيها.

ولما كان الأمر بهذه الصورة فقد استعنت بالله عز وجل في كتابة ورقات أبين فيها معاني الآية الكريمة وما تحويه من لآلئ وكنوز، وأبرز هدايات هذه الآية الكريمة المباركة.

خطة البحث:

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وأحد عشر مبحثًا وخاتمة:

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وخطة الدراسة.

والمبحث الأول في: فضل آية الكرسي.

والعشر مباحث التالية في تفسير الآية الكريمة.

هذا والشكر لله والحمد له، الذي منَّ عليَّ بكتابة هذه الورقات حول فضل وتفسير أعظم آية في كتاب الله تعالى، فما كان فيها من صواب فبتوفيقه جل جلاله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله ﷺ بريئان منه.

وأسأل المولى عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله نافعًا مفيداً للإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب، وصلى الله تعالى على نبينا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول: فضل آية الكرسي.

إن لآية الكرسي منزلة عظمى ومكانة عليا، حيث إنها اشتملت على أشرف المذكورات، توحيد الله جل جلاله وتعظيمه وصفاته، ولا مذكور أعظم من رب العالمين. قال الرازي: (اعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم، فكلما كان المذكور والمعلوم أشرف كان الذكر والعلم أشرف، وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله سبحانه، وكل كلام اشتمل على نعوت جلاله وصفات كبريائه، كان ذلك الكلام في نهاية الجلال والشرف، ولما كانت هذه الآية كذلك لا جرم كانت بالغة في الشرف إلى أقصى الغايات وأبلغ النهايات) [(١)].

وقد بين رسولنا ﷺ فضل هذه الآية وعظم مكانتها في عدة أحاديث، منها:

١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ ، قُلْتُ: شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ »، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، إِنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ:

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ٧/ ٣.

مَا هُن؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الحَيُّ القَيُّـومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ »، قُلْتُ: زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟ »، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ »، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»[(١)].

والحديث واضح الدلالة على أن قارئ آية الكرسي عند إيوائه إلى فراشه يكون معه حافظ من الله تعالى ولا يقربه شيطان حتى يصبح. قال ابن تيمية: (ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها)[(٢)]. فالواجب على كل مسلم المحافظة على قراءتها عند في كل ليلة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز ٤/ ٤٨٧، ح (٢٣١١). وقد تعددت وقائع مثل هذه القصة الواردة عند البخاري لأبي هريرة، فقد وقع لأبي بن كعب عند النسائي في السنن الكبرى، ح (١٠٧٩٧)، والحاكم ١/ ٥٦٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٨: ورواه الطبراني ورجاله ثقات.

وفي الحديث: "قَالَ أبي: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ، قَالَ: تقرأ آية الكرسي مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حين تُمْسِيَ أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ".

ووقع مثل هذا أيضًا لأبي أيوب الأنصاري عند الترمذي (٣٠٤٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وفيه: "فَقَالَتْ: إِنِّي ذَاكِرَةٌ لَكَ شَيْئًا آيَةَ الكُرْسِيِّ اقْرَأْهَا فِي بَيْتِكَ، فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ" الحديث. وفي الأحاديث الثلاثة بيان أن من أراد أن يكون معه من الله تعالى حافظ، وتبتعد عنه الشياطين، ويحفظه الله تعالى من كيدهم وشرورهم فلا يتمكنون من إلحاق الأذى به، فليحافظ على قراءة آية الكرسي صباحًا ومساءً.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٥.

عند النوم، حتى يحصل على خاصيتها في الحفظ بإذن الله من كل شيطان، فالمحفوظ من حفظه الله تعالى.

وفي طردها للشيطان، وعدم اقترابه من قارئها حتى يصبح من الفضل والخاصية ما لا يخفى على كل أحد.

قال البقاعي: والسر - والله أعلم - في طردها للشيطان في جميع الأوقات: أن المقصود منها الدلالة على مضمون الآية التي قبلها، من تمام القدرة المستلزم للوحدانية، المستلزمة للإحاطة بجميع صفات الكمال، مع التصريح بتلك الصفات الثبوتية والسلبية، كلها أو جلها، وذكر الاسم الأعظم، وما يدل عليه فيها عشرين مرة. فلا جرم أن من قرأها، فتنسَّمت أنفاسه من تلك القدرة، ضربت على بيته من سرادقات العظمة، فطردت عنه وعن من شاء من جيرانه الشيطان، وأعلته عن حضيض الآفات، إلى حضرات الرحمن. وعلى هذا المقصود دلت تسميتها بالكرسي، لأنه على قدر مملكة المَلِك، تكون قدرته، وعلى حسب قدرته، يكون علوه وعظمته.[(١)]

٢) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ »، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ »، قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[(٢)]. وفي رواية: «والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا

---

(١) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ٤٤، ونظم الدرر ١/ ٤٩٤.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل القرآن، باب فضل آية الكرسي ١/ ٥٥٦، رقم (٨١٠).

لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»[١]. فما أعظم آية الكرسي، فخير الكلام كلام الله عز وجل، وخير كلامه القرآن، وأعظم ما فيه آية الكرسي، فليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي.

قال السعدي: أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن، لما احتوت عليه من معاني التوحيد والفطرة، وسعة الصفات للباري .... آية احتوت على هذه المعاني التي هي أجل المعاني، يحق أن تكون أعظم آيات القرآن، ويحق لمن قرأها متدبراً متفهماً، أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون محفوظاً بذلك من شرور الشيطان.[٢]

فهي أعظم آية في القرآن الكريم، وقد خُصَّت آية الكرسي بهذا الفضل العظيم، لأنها تضمنت التوحيد والأسماء والصفات، وأثبتت العبودية لله وحده، وأنه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه تعالى مالك الشفاعة لا يعطيها أحداً إلا بإذنه سبحانه وتعالى. قال ابن عباس: أشرف آية في القرآن آية الكرسي. قيل: لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمر وظاهر ثمان عشرة مرة[٣].

وهذا كله يدل على عظيم شأن آية الكرسي، وعلو مكانتها، ورفيع منزلتها، من بين آيات القرآن، وفي هذه الخاصية المذكورة من الفضل والخير ما لا يخفى.

٣) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، إِلا الْمَوْتُ».[٤] فالموت حاجز بينه وبين دخول الجنة، فإذا تحقق وانقضى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح (٢١٢٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٢٣ (٢١٦٩)، وصححه الأرنؤوط، ومعنى (ليهنك) ليكن العلم هنيئاً لك، وهو دعاء له بتيسيره عليه، وإخباره بأنه من أهله.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٢٠١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٧١.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، ح (٩٩٢٨)، والطبراني في المعجم الكبير، ح (٧٤٠٨)، وذكره الهيثمي في =

حصل دخوله. فعلى المشتاقين إلى جنات النعيم الاحتفاء الشديد، والعناية البالغة بقراءة آية الكرسي بعد الفريضة حتى لا يفوّت عليهم الشيطان الرجيم هذا الخير العظيم، والفضل الكبير.

٤) عَن الْحسن بن عَليّ رَضِي الله عَنْهُمَا أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «من قَرَأَ آيَة الْكُرْسِيّ فِي دبر الصَّلَاة الْمَكْتُوبَة كَانَ فِي ذمَّة الله تعالى إِلَى الصَّلَاة الْأُخْرَى».[(١)] وما أعظم هذه الذمة وأقواها! إنها ذمة القادر المقتدر، ذمة الله ذي الجلال والإكرام الذي لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه.

٥) وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: سورة الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه». قال أبو أمامة: فالتمستها فوجدت في "البقرة" في آية الكرسي: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي آل عمران: ﴿الم . اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[(٢)].

فقوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ اسمان من أسمائه تعالى، وهما جامعان لكمال الأوصاف والأفعال، فكمال الأوصاف في ﴿الْحَيُّ﴾، وكمال الأفعال في ﴿الْقَيُّومُ﴾؛ فـ - ﴿الْحَيُّ﴾ أي ذو الحياة الكاملة، لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان: ٥٨)، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

ومن الآثار الموقوفة في فضائل آية الكرسي:

=

مجمع الزوائد ١٠/ ١٠٢، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد وأحدها جيد. أهـ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح (٢٦٦٧)، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٠٩: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم، ح (٣٨٥٦)، والطبراني في الكبير، رقم (٧٨٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٧٤٦).

١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما أرى رجلاً ولد في الإسلام، أو أدرك عقله الإسلام، يبيت أبداً حتى يقرأ هذه الآية: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وما بت ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات»[(١)].

٢) قال أبي أمامة رضي الله عنه: «أربع آيات أنزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن، أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والكوثر».[(٢)]

وعلى كل حال فهي آية عظيمة، بل هي أعظم آية في القرآن الكريم، والذي يجب التنبيه عليه هو ضرورة الأخذ بها، وتدبرها والعمل بها، ففي ذلك من الخير والبركة والفائدة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وعلى وجه الخصوص ما جاء النص به، والحث عليه في حالات مذكورة، وأوقات معلومة.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن صـ١٢٣، والفريابي في فضائل القرآن صـ١٦٠، وقال محمد بن رزق طرهوني في موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح) ١/ ١٣٦: (الحديث صحيح، والشاهد موقوف في حكم المرفوع). أهـ

(٢) أخرجه ابن الضريس صـ٨٠ (١٤٨) وقال الشيخ طرهوني في موسوعة فضائل القرآن (القسم الصحيح) ١/ ٢٤: (الحديث إسناده حسن، وهو موقوف لكنه في حكم المرفوع، لأنه مما لا مجال للرأي فيه، وليس مما يمكن أن يتلقى عن أهل الكتاب). أهـ

المبحث الثاني: تفسير قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

﴿الله﴾ علم خاص بالله عز وجل، وهو لا يطلق إلا عليه تعالى في الجاهلية والإسلام: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان: ٢٥)، فالله: هو المألوه والمعبود، ذو الألوهية والعبودية على جميع خلقه.

وهذا الاسم أعظم أسماء الله تعالى التسعة والتسعين، لأنه دَال على الذَّات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يخرج منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو غيره، ولأنه أخص الأسماء، إذ لا يُطلقهُ أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً[١].

(والإله) مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَه إذا تحير، لأَن العقول تَأْلَهُ في عظمته، وقيل: هو مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أَي لجأَ إليه لأَنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أَمر[٢]. فهو سبحانه المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الألوهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوبا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

الإله إذن بمعنى المألوه، أي: المعبود حبًا وتعظيمًا، ولا أحد يستحق هذا الوصف إلا الله عز وجل، والآلهة المعبودة من دون الله هي آلهة في ظن عابدها، وإلا فهي لا تستحق العبادة، بل لا تستحق أن يطلق عليها آلهة فهي معبودة بغير حق.

فهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات، نفي استحقاق غير الله عز وجل العبادة، وإثبات

---

(١) انظر: المقصد الأسني، لأبي حامد الغزالي، صـ٦١.

(٢) انظر: لسان العرب، ١٣/ ٤٧٦، مادة: (أله).

استحقاق العبادة لله عز وجل وحده. قال السعدي: (فأخبر أنه ﴿الله﴾ الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة) (١). فالله عز وجل هو المتفرد باستحقاق العبودية، فلا يُعبد أحد سواه كائنًا من كان، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، فضلاً عن غيرهما، بأي نوع من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، فلا قيام ولا ركوع ولا ذبح ولا نذر إلا له وحده تعالى، ولا خوف إلا منه، ولا رجاء إلا له، ولا خشية إلا منه، ولا يُدعى في كل حال إلا هو سبحانه، ولا يُستغاث إلا به، ولا حكم إلا له، فلا ندّ ولا نظير ولا شريك له سبحانه في أي نوع من أنواع العبادات.

وهذا المعنى الذي اشتملت عليه هذه الجملة هو أساس دعوة الأنبياء، فقد بين الله عز وجل أن بعثة جميع الرسل كانت لدعوة الناس إلي هذا الأصل، وذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، قال ابن كثير: (وبعث في كل قرن وطائفة رسولاً، وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه). (٢)

وبين تعالى أنه ما بعث نبيا إلا وأوحى إليه أنه لا إله إلا هو، فلا يعبد إلا هو جل جلاله، بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، قال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد. (٣)

هذا، وقد ورد في القرآن ذكر قصص بعض الأنبياء السابقين وما دعا إليه كل نبي منهم فكان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٠٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٢٦.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٣٣.

عماد دعوة كل منهم أن لا يعبد إلا الله سبحانه، وأن يجتنب عبادة كل ما سواه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩)، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥)، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٧٣).

وبها وصى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بنيه ويعقوب عليه السلام أوصى بها بنيه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢-١٣٣)، وبها أمر أهل الكتاب: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

وإلى هذا التوحيد دعا رسولنا ﷺ الناس كافة، عشيرته وكافة الناس، من أحبوه ومن أبغضوه من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، ودعا إليه في كل أحواله في الحضر والسفر، في الأمن والخوف، في المسجد والسوق، دعا إليه بكل وسيلة، مشافهة وكتابة، وإرسال رسول يبلغ عنه هذا الأصل، وسيرته ﷺ ملأى بالأدلة الناطقة بذلك، فَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا"، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قُلْنَا: انْعَتْ لَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "بَيْنَ بُرْدَيْنِ أَحْمَرَيْنِ،

مَرْبُوعٌ كَثِيرُ اللَّحْمِ، حَسَنُ الْوَجْهِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، أَبْيَضُ شَدِيدُ الْبَيَاضِ، سَابِغُ الشَّعْرِ.[١]

وعن رَبِيعَةَ بْنَ عِبَادٍ الدُّؤَلِيَّ قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمِنًى فِي مَنَازِلِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا». قَالَ: وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا دِيْنَ آبَائِكُمْ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ، قِيلَ: أَبُو لَهَبٍ".[٢]

ودعا إليها رسول الله ﷺ قيصر ملك الروم، ضمن الكتاب الكريم الذي أرسله إليه، ونص الكتاب كما ثبت عن ابن عباس: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِن عَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).[٣]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: لَمَّا بَعَثَ النبي ﷺ مُعَاذًا إلى أهل اليَمَنِ، قَالَ له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أن يوحدوا الله» الحديث[٤]. وفي رواية: «فَإِذَا جِئْتَهُمْ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح (١٦٦٠٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب المغازي، باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به ٦/ ٢١، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. أهـ وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح (١٦٠٢٤)، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان ١/ ١٥، (٣٨)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ورواته عن آخرهم ثقات أثبات، ووافقه الذهبي. وصححه الأرنؤوط.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ٦/ ٤٣، ح (٤٤٢٤)، ومسلم في صحيحه، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٥/ ١٦٣، ح (١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلي توحيد الله، ح (٧٢٧٢).

فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» الحديث.(١)

وخلاصة القول أن مفتتح آية الكرسي ﴿اللهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ﴾ هـو المهـم الـذي أرسـل الله مـن أجله جميع الأنبياء من لدن آدم إلي رسولنا ﷺ، وقد قاموا كلهم بالدعوة إليه، فجزى الله كـل نبـي عن أمته خير الجزاء.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلي اليمن، ح (٤٣٤٧).

المبحث الثالث: تفسير قوله عز وجل: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

هذان الاسمان جامعان لصفات الكمال. فالمراد بالحي الذي له الحياة الذاتية التي لم تأت من مصدر آخر، الكاملة الدائمة التي ليس لها انقطاع وزوال لا قبل ولا بعد. قال الطبري: (وأما قوله: ﴿الْحَيُّ﴾ فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخره له أمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها).(١)

وفي ذكر وصف ﴿الْحَيُّ﴾ بعد قوله: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ دليل على تفرده تعالى بالألوهية، وإبطال عبودية من عداه، حيث لا يستحق العبادة إلا من كان حيًا حياة ذاتية دائمة أبدية. قال ابن عاشور: (والمقصودُ إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة المشركين وصف الإلهية لانتفاء الحياة عنهم، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم: ٤٢).(٢)

وقد فطن أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلي التلازم بين استحقاق العبودية والحياة الأبدية الأزلية في الخطبة التي ألقاها بعد وفاة النبي ﷺ قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٣٣)(٣) فلا عجب في وفاته ﷺ رغم عظم المصيبة، لأنه ﷺ ليس إلهًا يُعبد، والذي يُعبد هو الله تعالى، وهو حي لا يموت.

وهذا الاسم يتضمن جميع صفات الله عز وجل الذاتية، فالله له الحياة التامة الكاملة التي لا بداية لها ولا نهاية، وله جميع الصفات الذاتية بمعانيها العظيمة الكاملة التي لا تتم الحياة الكاملة

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٨٦، وانظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٣٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٥٤).

بدونها، والتي ينبغي إثباتها لله عز وجل على أكمل وجه، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والمشيئة، والعظمة، والعزة وغيرها من النعوت الكاملة.(١)

ولذلك يرى ابن تيمية أن اسم ﴿الْحَيُّ﴾ يستلزم جميع صفات الكمال لله تعالى، كما يرى أنه الاسم الأعظم، قال: (فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها، ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وهو الاسم الأعظم، لأنه ما من حي إلا وهو قادر مريد فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفى في الصفات بالتلازم لاكتفى بـ(الْحَيّ)).(٢)

إذن كمال الأوصاف لله تعالى يدل عليها كلمة الْحَيّ، فهو تعالى حي حياة كاملة جامعة لجميع صفات الذات، ومن كمال حياته أنه كامل القدرة، نافذ الإرادة والمشيئة، ومما يدل على كمال حياته تعالى (أل) التعريف التي تفيد الاستغراق، فحياته تعالى لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».(٣)

وقد ورد اسم الحي لله عز وجل في آيات أخرى، منها: قوله تعالى: ﴿الم. اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: ١، ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (طه: ١١١)، وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (الفرقان: ٥٨)، وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر: ٦٥).

إن الحياة الأزلية الدائمة ليست إلا لله تعالى، وكل من سواه هالك وميت، وهذه الحقيقة

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ٢٠٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٦، وانظر أيضا: شرح الطحاوية صـ١٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر، باب ما يقول عند النوم ٨/ ٧٨، ح (٢٧١٣).

مؤكدة في عدة آيات من القرآن الكريم، منها، قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)، وقوله جل وعلا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

ولو كان لأحد من الخلق البقاء لكان أولاهم بذلك رسول الله ﷺ، لكنه مات، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء: ٣٤، ٣٥) وقال جل وعلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤). وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»[(١)]. فالحياة الكاملة أزلاً وأبداً لله عز وجل.

ولما ذكر تعالى الحياة التي هي أصل جميع الصفات، ذكر تعالى معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه وانتفاء الآفات جميعها عنه، فقال تعالي: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . يقول أبو حيان: (﴿الْقَيُّومُ﴾ على وزن (فيعول)، أصله (قيووم) اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء) [(٢)].

وأما عن معناه فيقول قتادة: القائم بتدبير الخلق، ويقول الربيع بن أنس: قيم كل شيء،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح (١٠٠٥٧)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٥، ح (٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي.

(٢) البحر المحيط ١/ ٢٧٧.

يكلؤه ويرزقه ويحفظه[١]. فهو سبحانه وتعالى قائم بأمر الخلق: برزقه ورعايته وحفظه، وما من شيء إلا وإقامته بأمره وتدبيره سبحانه وتعالى، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، ولا قوام لها بدون أمره، وهو جل وعلا غني عنها[٢]. إذن فاسم ﴿الْقَيُّومُ﴾ له معنيان:

الأول: أنه الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).

الآخر: هو الذي قامت به السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣)، فالمخلوقات كلها مفتقرة إلى الله عز وجل في كل شيء، في إيجادها وإمدادها بما تحتاج إليه من أمور الدنيا والدين، وفي جلب النفع ودفع الضرر. وغير ذلك. فالله عز وجل هو الغني بذاته، المستغني عن خلقه، المغني لهم، فله سبحانه القيومية التامة.

يقول ابن أبي العز: (فعلى هذين الاسمين ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها... وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام)[٣].

يقول السعدي: (إن ﴿الْقَيُّومُ﴾ يدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها

---

(١) انظر: جامع البيان ٥/ ٣٨٨، والبحر المحيط ١/ ٢٧٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٠.

(٣) شرح الطحاوية، صـ١٣٧، ١٣٨.

بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقاءها) [(١)].

وقد وردت عدة نصوص قرآنية تدل على أن قيام الخلائق وبقاءها بأمر الله تعالى ولا قوام لها بدونه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم: ٢٥)، فدوام قيام السموات والأرض بأمره تعالى، ولا يستطيع إمساكهما إن زالتا أحد غير الله الحي القيوم: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: ٤١).

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ. إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (يس: ٣٨-٤٤)، فالآيات إخبار منه جل وعلا عن تقديره للشمس والقمر، فهو تعالى الذي يأمر الشمس بالجري لمستقرٍ لها، ويقدر منازل القمر، ويمنعه من الاجتماع مع الشمس، ويقدر الليل والنهار، وهو تعالى الذي يحمل الناس في الفلك المشحون، ويكلؤهم بحفظه وسط موج البحر الذي هو كالجبال.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك: ١٩)، فلا يحفظ الطير في السماء حال بسطها أجنحتها وقبضها إلا الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم.

ومن هذه النصوص وغيرها ندرك أن ذكر اسم القيوم لله عز وجل في الآية دليل آخر على ما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٠٢.

جاء في أولها ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من تفرده تعالى بالألوهية، وذلك أن المتفرد بقيام أمر الخلق من رزقهم، وحفظهم، من غير ند ولا شريك، هو المستحق وحده لجميع أنواع العبادات لا يشرك معه فيها أحد.

وبما أنه عز وجل قائم بنفسه قائم به غيره، فله تمام الحياة والقيومية فلذلك لا تأخذه سنة ولا نوم.

المبحث الرابع: تفسير قوله عز وجل: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

هذه الجملة تأكيد للقيومية، قال النسفي: (وهو تأكيد للقيوم، لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً) (١).

وقال ابن كثير: (ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم) (٢). فهو جل جلاله لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو تعالى قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية (٣).

والسنة النعاس وهو: فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه، وليس يفقد معه كل ذهنه، والنوم هو: المستثقل الذي يزول معه الذهن، قال ابن عباس: السنة النعاس، والنوم هو النوم (٤).

وفرق المفضل بينهما فقال: السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب (٥).

وهاتان صفتان سلبيتان، ومن المعلوم أنه لا يوجد في صفات الله تعالى وأسمائه صفة سلبية محضة، إنما تذكر الصفات السلبية لكمال ضدها، فلكمال حياة الله وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم.

قال الطبري: (﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت ﴿الْقَيُّومُ﴾ على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لا يغيره غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على

---

(١) مدارك التنزيل ١/ ١٢٨، وانظر: الكشاف ١/ ٣٨٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣١، وانظر: محاسن التأويل ٣/ ٣١٨.

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٣٨، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٠.

(٤) أخرجه الطبري ٥/ ٣٩١.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣/ ٢٧٢.

حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوبًا مقهوراً، لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكًا، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنوم شاغل المدبِّر عن التدبير، والنعاس مانع المقدِّر عن التدبير بوسنه).[١]

والنوم أمر جسماني محض، وربنا تعالى منزه عن صفات الأجسام وعوارضها، والنوم يقطع التعب والعناء، والذي يشعر بالعناء هو المخلوق، أما الخالق سبحانه فلا يتعب ولا يحتاج إلى راحة لكمال صفاته وأسمائه، لكن المخلوق الضعيف يحتاج إلى النوم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النبأ: ٩)، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ (الفرقان: ٤٧)، أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال[٢]. فبذلك يكون النوم قاطعًا للتعب والمشقة.

وكل المخلوقات تحتاج إلى الله في يقظتها ونومها، لأنه الخالق المتصف بالقيومية وتلك الصفة تنافي السنة والنوم، لأنه عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام. فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».[٣] قال النووي: (معناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام، وأنه يستحيل في حقه النوم، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل ليسقط به الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه جل وعلا).[٤]

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٩٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إن الله لا ينام، ١/ ١٦٢، رقم (٢٩٥).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ١٣.

فإن قيل: لِمَ قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾ ولم يقل: لا ينام؟

فالجواب: لأن الأخذ بمعنى القهر والغلبة. حتى يعلم أن ذلك يشمل الأخذ بالقهر والغلبة، والأخذ بالاختيار، فهو لا يصيبه النعاس ولا ينام لا غلبة ولا اختيارا. ولما عبر بالأخذ الذي بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة، كما لو قيل: فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان[١]. وهناك وجهان آخران في حكمة تقديم سنة على نوم هما:

١) أن ذلك مراعاة لترتيب الوجود الخارجي، حيث تأتي غالبًا قبل النوم.

٢) أن ذلك لتأكيد نفي النوم، ففيها نفي للنوم مرتين باللزوم والمطابقة، لأنها قد تتقدم بين يدي النوم، وقد يهجم النوم دون السنة[٢]. والله أعلم.

وهنا سؤال: ما الحكمة في نفي النوم بعد نفي السنة؟

والجواب من وجوه:

١) أن نفي أحدهما لا يستلزم نفي الآخر، قال الشوكاني: إن النوم قد يرد ابتداءً من دون ما ذكر من النعاس، فلا يستلزم نفي السنة نفي النوم. وأيضًا: الإنسان يقدر أن يدفع عن نفسه السنة، ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه النوم، فقد يأخذه النوم ولا تأخذه السنة، فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي السنة لم يفد ذلك نفي النوم، وهكذا لو وقع الاقتصار على نفي النوم لم يفد نفي السنة، فكم من ذي سنة غير نائم[٣].

٢) نفى الأخص أولاً، ثم نفى الأعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولاً ضمنًا ثم

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٤٩٦.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٤٨، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٣٤.

(٣) انظر: فتح القدير ١/ ٤١١.

ثانيًا صريحًا، ولو اقتصر على نفي الأخص لم يلزم منه نفي الأعم[١].

وقد ذكر المفسرون وجهين في بيان حكمة تكرار كلمة (لا)، هما:

١) ما قاله أبو حيان: (وفائدة تكرار (لا) في قوله: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، انتفاؤهما على كل حال، إذ لو أسقطت (لا) لاحتمل انتفاؤهما بقيد الاجتماع، تقول: ما قام زيد وعمرو بل أحدهما، ولا يقال: ما قام زيد ولا عمرو بل أحدهما)[٢].

٢) ما قاله أبو السعود: (وتوسيطُ كلمةِ (لا) للتنصيص على شمول النفي لكل منهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾) (التوبة: ١٢١).[٣]

والحاصل: أن الله تعالى لا تدركه آفة ولا يلحقه نقص، والسنة والنوم نقص، فهما مستحيلان عليه تبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره.

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٣/ ١٦.

(٢) البحر المحيط ١/ ٢٧٨.

(٣) إرشاد العقل السليم ١/ ٢٤٨، وانظر: فتح القدير ١/ ٤١١.

المبحث الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

هذه الجملة تقرر ما جاء في مبتدأ الآية الكريمة: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من تفرده تعالى بالألوهية والعبودية. قال الطبري: (وإنما يعنى بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك طوع يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلا بأمره. يقول: فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه) [(١)]. فلله ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والكواكب وغيرها، وما في الأرض من العوالم المشاهدات لله الواحد خلقاً وملكاً وتعبيداً وتدبيراً وتصرفاً بغير ند ولا شريك[(٢)].

فاللام في ﴿لَهُ﴾ للملك، فهو سبحانه يملك كل شيء ملكاً تاماً. وقد جاءت آيات كثيرة تدل على هذا العموم والحصر بأن لله ما في السموات والأرض بغير شريك، منها: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (آل عمران: ١٠٩)، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦)، وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٣٢)، وقوله جل جلاله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (سبأ: ١).

وفي فائدة التعبير باسم الموصول (مَا) وتكراره، وحكمة تقديم الخبر (لَهُ) قال ابن عاشور: فقد دلت الجملة على عموم الموجودات بالموصول وصلته - لأن اسم الموصول من صيغ

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٩٥، وانظر: التحرير والتنوير ٣/ ٢٠.

(٢) انظر: معالم التنزيل ١/ ٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٧٣.

العموم – وإذا ثبت ملكه للعموم ثبت أنه لا يشذّ عن ملكه موجود، فحصل معنى الحصر، ولكنه زاده تأكيداً بتقديم المسند – وهو الخبر (لَهُ) – أي: لا لغيره لإفادة الرد على أصناف المشركين من الصابئة عبدة الكواكب كاليونان، ومن مشركي العرب، لأن مجرد حصول معنى الحصر بالعموم لا يكفي في الدلالة على إبطال العقائد الضالة. فهذه الجملة أفادت تعليم التوحيد بعمومها، وأفادت إبطال عقائد أهل الشرك بخصوصية القصر، وهذا بلاغة معجِزة [١]. حيث إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر.

فهذه الجملة تتضمن معنيين: (إثبات ملكية ما في السموات والأرض لله جل جلاله، ونفي ملكية غير الله تعالى لما في السموات والأرض).

وقد أثار المفسرون ثلاثة تساؤلات حول هذه الجملة وأجابوا عنها، وإليكها:

١) لِمَ اقتصر سبحانه على أن ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ولم يذكر أن له السموات والأرض؟

وفي الجواب يقول أبو حيان: (وكان ذكر المظروف هنا دون ذكر الظرف –أي ذكر ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ دون ذكر السموات والأرض– لأن المقصود نفي الإلهية عن غير الله تعالى، وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره، لأن ما عبد من دون الله من الأجرام النيّرة التي في السموات: كالشمس، والقمر، والأشخاص الأرضية: كالأصنام، وبعض بني آدم، كل منهم ملك لله تعالى مربوب مخلوق) [٢]. يقصد أن الناس كانوا يعبدون بعض ما في السموات والأرض ولم يكونوا يعبدون السموات والأرض، فاقتصر سبحانه على ذكر أن ما يعبدونه ملك وخلق لله

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير ٣/ ٢٠.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٢/ ٢٠٧.

فكيف يعبدون المملوك ويعرضون عن المالك؟ .

٢) لِمَ قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ولم يقل: له من في السموات ومن في الأرض؟

قال ابن عطية في الجواب: (وجاءت العبارة بـ (ما) وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد: الجملة والموجود) [١] وقيل: عبّر بـ (ما) ليشمل الأعيان والأحوال، وهما أكثر من الأعيان العاقلة، فغير العاقل أكثر من العاقل، والله له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً، ولهذا جاءت (ما)، وإذا قصدت الأحوال أتيت بـ (ما) حتى في العاقل، قال تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣)، ولم يقل: (من) لأن المرأة تنكح لحالها ووصفها لا لشخصها.

٣) لِمَ قال تعالى: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ولم يقل: وما في الأرضين؟ [٢].

وفي الجواب عن هذا التساؤل بقول ابن الجوزي: (إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته) [٣]. والأرض وإن عبر فيها بالمفرد فهي بمعنى الجمع، فالمراد هنا جنس الأرض.

ولهذه الجملة فوائد إلي جانب تقريرها لتفرده تعالى بالألوهية، منها:

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٣٣٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٧٣.

(٢) قد ورد في القرآن أن الأرض أكثر من واحدة ولكن لم يرد التصريح بعددها، كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فالأرضون إذن سبع، مثل عدد السموات مع الاختلاف في الكيفية. وقد ورد ذكر عدد الأرضين في حديث سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ به يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» [أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٢٤٥٢، ٢٤٥٣)، ومسلم في صحيحه، ١/ ٨٥] .

(٣) زاد المسير ١/ ٣٠٣ .

١) حيث إن الكون كله ملك لله، فله سبحانه وتعالى أن يحكم فيه ما يشاء، ويقضي ما يريد، وواجب علينا أن نرضى بقضائه، ونصبر عليه، بل وتنشرح له صدورنا، ونعلم أن قضاء الله تعالى لنا خير من قضاءنا لأنفسنا، وسواء أكان هذا القضاء يتعلق بذات المرء أو بأهله وولده أو بماله أو بعامة الناس. ولذا أمرنا تعالى أن نقول عند المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، وأرسل النبي ﷺ لابنته التي أشرف ابنها على الموت يقول: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[(١)]. (والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه، فإن أخذه أخذ ما هو له، فلا ينبغي الجزع؛ لأن مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه) [(٢)].

٢) بما أن الكون وكل ما فيه ملك لله الواحد سبحانه من غير شريك، فما نملك من مال ومتاع وجاه ليس ملكًا لنا على الحقيقة، بل هو ملك لله سبحانه، وإنما استخلفنا فيه للاختبار والامتحان، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧)، وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»[(٣)]. فالواجب علينا إذن أن لا نعمل فيما استخلفنا الله تعالى فيه إلا بما يأمرنا به الله تبارك وتعالى.

وخلاصة الأمر: أن لله عز وجل ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيراً وحده دون ما سواه، فهو المالك وما سواه مملوك، وهو الخالق وغيره مخلوق، وهو الرازق وما عداه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ٣/ ١٥١، (١٢٨٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٣/ ١٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٤/ ٢٠٩٨، (٢٧٤٢).

مرزوق، وجميع ما في السموات والأرض خلقه وملكه وعبيده مقهورون بعظمته خاضعون لمشيئته، مذعنون لإرادته، وهو الرقيب عليهم، فالواجب أن نخضع له خضوع تذلل وخشوع وطاعة، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣).

المبحث السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

والمعنى: لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عند الله عز وجل إلا بإذنه له في الشفاعة. قال الطبري: (وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى ذكره لهم: لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكًا، فلا تنبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئا، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي) [(١)].

وقال الرازي: (قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهام معناه الإنكار والنفي، أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره، وذلك لأن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، وقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ (يونس: ١٨). ثم بيّن تعالى أنهم لا يجدون هذا المطلوب، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾ (يونس: ١٨)، فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [(٢)]. ولا يأذن تعالى في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨)، ولا يرضى تعالى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها.[(٣)]

والشفاعة مصدر من الشفع وهو خلاف الوتر، وشفع فيه أعانه، وتطلق على الدعاء. وهي

---

(١) جامع البيان ٥/ ٣٩٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٧/ ١٠، وانظر: غرائب القرآن ٣/ ١٧، وفتح القدير ١/ ٤١١.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٤١.

اصطلاحًا: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، أو: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.[١] وهي نوعان:

١) شفاعة مثبتة: وهي التي تطلب من الله، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، ومقيدة بأمرين:

أ) إذن الله للشافع أن يشفع. ب) رضاه عن المشفوع له.

وهذه هي التي أثبتها الله تعالى في كتابه، وتطلب منه وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٤٤)، فالله عز وجل هو مالكها ولا تطلب إلا منه، وليس لمن تطلب منه شيء منها، وطلب الشفاعة عبادة لا تصلح إلا لله عز وجل، والشفاعة المثبتة إنما تقع يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه: ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم: ٢٦).

قال ابن كثير: (فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام الأنداد عند الله، وهو تعالى لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتب)[٢]. فلا شفاعة إلا بإذن الله عز وجل، ولمن رضي الله قوله وعمله بتجرده من الشرك.

٢) شفاعة منفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (الأنعام: ٥١)، وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٨/ ١٨٣، مادة: (شفع).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٥٥.

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٤٣، ٤٤)، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ: ٢٢، ٢٣)، فقد قطع الله بهذه الآية كل وسيلة يتوسل بها المشركون لدعوة غيره، فبين تعالى أن هؤلاء المدعوين من دونه لا ملك لهم بوجه من الوجوه، ولا شركة لهم في الملك، وليس له تعالى منهم من ظهير ومعاون، وليس لهم شفاعة بدون إذن الله، إذن فهم لا يستحقون من العبادة مثقال ذرة.

وفي حكمة وجود (مَنْ) و (ذا) في هذه الجملة يقول الشوكاني: في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها، والتوبيخ له ما لا مزيد عليه، وفيه من الدفع في صدور المشركين، والصدّ في وجوههم، والفت في أعضادهم ما لا يُقادر قدره، ولا يبلغ مداه، والذي يستفاد منه فوق ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارتضى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾، بدرجات كثيرة [١].

فتلك النصوص الكريمة تدل على النفي فحسب، أما هذه الجملة فهي دالة على النفي والإنكار معًا، وأتت كلمة: (ذا) لتؤكد هذا الإنكار والنفي، وفي ذلك يقول ابن عاشور: ("ذا" مزيدة للتأكيد إذ ليس ثمّ مشار إليه معيَّن، والعرب تزيد (ذا) لما تدل عليه الإشارة من وجود شخص معيّن يتعلق به حكم الاستفهام، حتى إذا ظهر عدم وجوده كان ذلك أدلّ على أن ليس ثمّةَ متطلع ينصب نفسه لادّعاء هذا الحكم) [٢].

---

(١) انظر: فتح القدير، ١/ ٤٠٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٣/ ٢١ .

ومما يستفاد من هذه الجملة فوق تقريرها لقيوميته تعالى أمور، منها:

١) بيان عظمته وكبريائه، حيث لا يجرأ أحد على الشفاعة لأحد عنده إلا بإذنه، قال البيضاوي في تفسيرها: (بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً عن أن يعاوقه عناداً أو مخاصمة) [(١)].

٢) إثبات الشفاعة بإذن الله تعالى، قال أبو حيان: (وفي هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله وعظم كبريائه، بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلا بإذن منه تعالى، والإذن هنا معناه: الأمر) [(٢)]. وذلك أن الله تعالى قال: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فلولا أن الشفاعة ثابتة لما صح هذا الاستثناء. وفيها أيضاً: إثبات الإذن للشفاعة، ويدل على ذلك أيضاً ما ثبت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبك، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٣٤، وانظر: الكشاف للزمخشري، ١/ ٣٨٤.

(٢) البحر المحيط، ١/ ٢٧٨.

فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا» الحديث.[١] (فسجوده ﷺ استئذان في الكلام، ولا يشفع حتى يقال له: (اشفع)، وتعليمُه الكلمات مقدّمة للإذن).[٢]

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار ١١/ ٤١٧، ح (٦٥٦٥)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٠، رقم (٣٢٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣/ ٢١.

المبحث السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

قال ابن عاشور في صلة هذه الجملة بما قبلها: (وهي أيضاً تعليل لجملة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إذ قد يتجه سؤال: لماذا حُرموا الشفاعة إلا بعد الإذن؟ فقيل: لأنّهم لا يعلمون من يستحق الشفاعة، وربما غرّتهم الظواهر، والله يعلم من يستحقها، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم).[١]

وقال الرازي: (اعلم أن المقصود من هذا الكلام أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب، لأنه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية، والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى، ولا يعلمون أن الله تعالى هل أذن لهم في تلك الشفاعة، وأنهم يستحقون المقت والزجر على ذلك، وهذا يدل على أنه ليس لأحد من الخلائق أن يقدم على الشفاعة إلا بإذن الله)[٢].

فعلم الله محيط بكل شيء، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي، عالم بتفاصيل الأمور، ظاهرها وباطنها، متقدمها ومتأخرها، لا يخلو عن علمه تعالى مكان ولا زمان، قال صديق حسن خان: (والمقصود أنه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه، حتى يعلم دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، تحت الأرض الغبراء، وحركة الذرة في جو السماء، والطير في الهواء، والسمك في الماء)[٣].

فالله تعالى يعلم ما كان، وما سيكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب، ٧/ ١٠، وانظر: غرائب القرآن للنيسابوري، ٣/ ١٧.

(٣) فتح البيان، ١/ ٤٢٣.

أحوال المكلفين قبل إنشائهم، وحين أنشأهم، وبعد مماتهم، وبعد ما يحييهم، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. قال ابن كثير: (والآية دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها) (١).

فعلمه تعالى محيط بكل شيء: بالواجبات والممتنعات والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها.

ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (المؤمنون: ٩١)، فهذا من ذكر علمه تعالى بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ عنها لو وجدت على وجه الفرض والتقدير.

ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها، ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣١).

وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة تدل على إحاطة علم الله تعالى بجميع الكائنات في جميع الأزمان، منها: قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠)، وقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ٢٩)، وقوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (التغابن: ٤)، وقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٣١.

٦١)، إلي غير ذلك من الآيات.

وفي التعبير باسم الموصول (مَا) وهو من صيغ العموم، ما يفيد شمول علمه تعالى لكل شيء، سواء أكان دقيقاً أم جليلاً، صغيرا أم كبيرا، من أفعال العباد أو من أفعال الله تعالى، وفي تكراره في: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ توكيد لهذا العموم(١).

وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في مرجع الضمير في ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ و ﴿خَلْفَهُمْ﴾، منها:

١) يعود إلي من يعقل، قال ابن عطية: (والضمير في قوله: ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عائدان على كل من يعقل ممن تضمنه قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾).(٢)

٢) يعود الضمير إلي جميع الخلق، قال ابن الجوزي: وهذا ظاهر الكلام(٣).

وأما عن تفسير قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فقد ذكر المفسرون عدة أقوال في تفسيره، وإليك بعضاً منها:

١) قال عطاء ومجاهد والسدي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما كان قبلهم من أمور الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم من أمر الآخرة.

٢) قال الضحاك والكلبي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم.

٣) قال ابن عباس: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من السماء إلى الأرض ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يريد ما في السموات.

---

(١) انظر: البحر المحيط، ١/ ٢٧٨.

(٢) المحرر الوجيز، ١/ ٣٣٥.

(٣) انظر: زاد المسير، ١/ ٣٠٣.

٤) ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بعد انقضاء آجالهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما كان من قبل أن يخلقهم.

٥) ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك.

٦) ما يحسونه وما يعقلونه .

٧) ما يدركونه وما لا يدركونه.[١]

وبأي قول من هذه الأقوال أخذنا فالمراد أنه تعالى عالم بسائر أحوال المخلوقات لا يعزب عنه شيء، أحاط علماً بكل ما كان، وبكل ما هو الآن، وبكل ما هو كائن. والله أعلم.

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٧/ ١١، ومعالم التنزيل للبغوي، ١/ ٢٣٩، وأنوار التنزيل للبيضاوي، ١/ ١٣٤.

المبحث الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

هذه الجملة تكملة لما قبلها، قال ابن عاشور: (وعطفت جملة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ على جملة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لأنها تكملة لمعناها) [١].

وقال البيضاوي: (وعطف على ما قبله لأن مجموعهما يدل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته عز وجل) [٢]. وتفرده بالعلم الكامل المحيط بكل المخلوقات دون من سواه، وهذا دليل بين على ما قرره تعالى في أول الآية: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من تفرده بالألوهية والعبودية، وفي ذلك يقول الطبري: (إنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً، فكيف يعبد من لا يعقل شيئًا ألبتة من وثن أو صنم. يقول: فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها يعلمها، لا يخفي عليه صغيرها وكبيرها) [٣].

فقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بيان لصفة الخالق جل وعلا، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بيان لصفة المخلوق، وقرنا معًا ليتجلى كمال الخالق عز وجل، ونقص المخلوق، كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٦)، وقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

قال البقاعي: (ولما بين قهره لهم بعلمه بيّن عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بحلمه فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ﴾ أي قليل ولا كثير - فهي نكرة في سياق النفي تفيد العموم - ﴿مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فبان بذلك ما سبقه، لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته، فكان منزهًا عن الكفؤ، متعاليًا عن كل

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٢.

(٢) أنوار التنزيل، ١/ ١٣٤، وانظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ١/ ٢٤٨.

(٣) جامع البيان، ٥/ ٣٩٧.

عجز وجهل، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلاّ بإذنه لأنه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده) [١].

والإحاطة بالشيء علماً أن تعلم وجوده، وجنسه، وكيفيّته، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه، فالإحاطة تقتضي الحفوف بالشيء من جميع جهاته والاشتمال عليه.[٢]

وأما قوله: ﴿مِنْ عِلْمِهِ﴾ ففيها قولان للمفسرين:

١) المراد بالعلم هنا المعلوم، فلا يعلم أحد شيئاً من معلوماته عز وجل إلا ما شاء أن يعلمه إياه.

٢) المراد بالعلم علم ذاته وصفاته، فلا يحيط أحد علماً بذاته جل جلاله وصفاته إلا ما أطلعه تعالى عليه. وفي ذلك يقول ابن كثير: (لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠)).[٣]

وما علمنا عز وجل كثير بالنسبة لنا، قليل لمعلومه تعالى، فنحن نعلم أشياء عن صفات الله تعالى وأسمائه، وعن الأحكام الشرعية، والكونية، كأسمائه وصفاته المذكورة في القرآن، وأن السموات سبع، وهي مرفوعة بلا عمد .. الخ.

وهكذا بقية المعلومات، لا نحيط بها علماً إلا بما شاء الله، حتى المعلومات التي أمامنا يجهلها الكثير منا إلا إذا شاء الله أن نطلع عليها، ولا نحيط بشيء مما يتعلق بذاته وصفاته إلا بما

---

(١) انظر: نظم الدرر، ١/ ٤٩٧.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، ١/ ٣٠٤، والبحر المحيط لأبي حيان، ١/ ٢٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٢، وانظر: زاد المسير ١/ ٣٠٤، وفتح القدير ١/ ٤١١.

شاء، فبذلك يتبين كمال علمه عز وجل، ونقص علم الخلق، فلا يعلم أحد من علم الله تعالى إلا ما أعلمه إياه سواء أكان ملكًا أم رسولاً، وحتى سيد العالمين ما كان يعلم الغيب، ولم يكن يعرف إلا ما أعلمه الله تعالى، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠-٣٣)، فآدم عليه السلام عرف الأسماء لأن الله علمها إياه، وخفيت على الملائكة لأن الله لم يخبرهم بها.

٢) قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٩-٢٣)، فلو كان آدم وحواء عليهما السلام يعلمان ما أضمر لهما الشيطان من المكر لما انخدعا به، ولما صار أمرهما إلى ما صار إليه.

٣) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ.

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢-١١١)، فلو كان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يعلم أن ابنه لن يذبح وسيفدى بذبح عظيم فأي منقبة تبقى له؟ وكيف يكون بلاءً عظيماً كما سماه تعالى: ﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ . فليعلم أن توقير الأنبياء ليس في وصفهم بما يتنافى مع ما وصفهم به ربهم جل وعلا، بل بالوقوف عند النصوص.

٤) قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٤-٨٦). فلو كان يعقوب عليه السلام يعرف مكان وجود يوسف عليه السلام وحاله ما كان ليصير حاله إلي ما صار إليه.

٥) قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل: ٢٠-٢٨)، فلو كان سليمان عليه السلام يعرف الغيب ما كان ليغضب على الهدهد بسبب غيابه، ولا ليقرر تعذيبه أو ذبحه إن لم يأته بسبب تخلفه.

وصدقت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها لما قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ ﷺ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ

اللهُ﴾ (النمل: ٦٥).[١] وبذلك نعلم أنه لا أحد يطلع من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله تعالى وأطلعه عليه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ١/ ١٥٩، ح (٢٨٧).

المبحث التاسع: تفسير قوله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

هذه الجملة تقرر ما جاء في مستهل الآية الكريمة: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من تفرده تعالى بالألوهية والعبودية، فهي تقرير لعظمة الله وكبريائه وقدرته، وبيان عظمة مخلوقاته المستلزمة عظمة شأنه جل جلاله. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يُترك هو عز شأنه ويُعبد غيره، أو يُشرك غيره معه في العبادة؟!

قال البغوي: (﴿وَسِعَ﴾ أي: ملأ وأحاط به).[١] يقال: وسع الشيء: لم يضق عنه. ووسع: شمل وأحاط، يقال: وسعني المكان. أي: شملني وأحاط بي.

وأما قوله عز وجل: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ فاختلف المفسرون في معناه على أربعة أقوال:

الأول: أنه جسم عظيم يسع السموات والأرض.

الثاني: أن المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك.[٢]

الثالث: أن الكرسي هو العلم[٣].

---

(١) معالم التنزيل، ١/ ٢٣٩.

(٢) قلت: القدرة غير الكرسي، فالقدرة صفة من صفات الله عز وجل، وصفات الله ليست مخلوقة، أما الكرسي فهو من مخلوقات الله جل وعلا، ولا يصح وهو مخلوق أن يكون صفة من صفات الله تعالى، فحاشاه تعالى أن تكون صفاته مخلوقة، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب، ٦/ ١٩٣، مادة: (كرس): (والكُرْسِيّ معروف واحد، والكَرَاسِي وربما قالوا: كِرْسِيّ بكسر الكاف، وفي التنزيل العزيز: (وسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأَرض) في بعض التَّفاسير: الكُرْسِيّ العِلم، وفيه عدَّة أَقوال: قال ابن عباس: كُرْسِيُّه عِلْمُه، وروي عن عطاء أَنه قال: ما السموات والأَرض في الكُرْسِيّ إِلا كحَلْقة في أَرض فَلاة. قال الزجاج: وهذا القول بَيِّنٌ؛ لأَن الذي نعرِفه من الكُرْسي في اللغة: الشيء الذي يُعْتَمَد عليه ويُجْلَس عليه، فهذا يدل على أَن الكرسيّ عظيم دونه السموات والأَرض، والكُرْسِيّ في اللغة والكُرَّاسة: إِنما هو الشيء الذي قد ثَبَت ولزِم بعضُه بعضاً، قال: وقال قوم: كُرْسيّه =

الرابع: أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه.(١)

قال الرازي: (إن المعتمد هو الأول لأن ترك الظاهر بغير دليل لا يجوز)(٢). وقال الشوكاني: (الكرسي: الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة، وأخطأوا في ذلك خطأً بينًا)، ثم قال بعد ذكر الأقوال الأخرى حول الكرسي: والحق القول الأول، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي، والمراد بكونه وسع السموات والأرض أنها صارت فيه وأنه وسعها، ولم يضق عنها لكونه بسيطًا واسعًا.(٣)

وقد ثبت عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»(٤). قال ابن عطية:

=

قُدْرَتُه التي بها يمسك السموات والأَرض، قالوا: وهذا كقولك اجعل لهذا الحائط كُرْسِيًّا، أَي: اجعل له ما يَعْمِدُه ويُمْسِكه. قال: وهذا قريب من قول ابن عباس؛ لأَن علمه الذي وسع السموات والأَرض لا يخرج من هذا، والله أَعلم بحقيقة الكرسيّ، إِلا أَن جملته أَمرٌ عظيم من أَمر الله عز وجل. وروى أَبو عمرو عن ثعلب أَنه قال: الكرسيّ ما تعرفه العرب من كَرَاسِيِّ المُلوك، ويقال كِرْسي أَيضًا، قال أَبو منصور: والصحيح عن ابن عباس في الكرسيّ ما رواه عَمَّار الذهبي عن مسلم البَطِين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أَنه قال: الكرسيّ موضع القَدَمين، وأَما العرش فإِنه لا يُقدر قدره. قال: وهذه رواية اتفق أَهل العلم على صحتها، قال: ومن روى عنه في الكرسيّ أَنه العِلم فقد أَبْطل). أهـ

(١) وهذا القول فيه حمل للفظ على غير حقيقته إلي المجاز وهو لا يجوز إلا إذا دل دليل على نقل اللفظ من الحقيقة إلي المجاز وليس ثم دليل على هذا النقل.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ٧/ ١٢، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٧٨.

(٣) انظر: فتح القدير ١/ ٤١٢، وانظر أيضا: فتح البيان ١/ ٤٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش، رقم (٥٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات صـ٥١٠، وصححه

=

(والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، والعرش أعظم منه) [١].

ومما يستفاد من هذه الجملة أمور، منها:

١) عظم قدرة الله حيث لا يئوده حفظ تلك المخلوقات على كثرتها وكبر حجمها.

٢) عظم مخلوقات الله عز وجل، وعظم المخلوق دليل على عظم خالقها وموجدها، ودليل على سعة ملكه، وإحاطة علمه.

٣) سعة الأكوان التي خلقها الله عز وجل، وأن السماوات والأرض على عظمها لا تعتبر شيئًا بالنسبة إلى الكرسي، وكل هذه المخلوقات وغيرها مما هو أعظم منها كالعرش لا تكاد تذكر بالنسبة لموجدها: ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

=

الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٠٩)، وقال: (والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئًا معنويًا، ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان كما جاء في بعض التفاسير، وما روي عن ابن عباس أنه العلم، فلا يصح إسناده إليه) أهـ. وأيضًا: فهذا الحديث فيه رد على من قال بأن العرش هو الكرسي، حيث فرق النبي ﷺ بين العرش والكرسي.

(١) المحرر الوجيز، ١/ ٣٣٦.

المبحث العاشر: تفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾

قال ابن عاشور: (وجملة: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ عطفت على جملة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لأنها من تكملتها، وفيها ضمير معاده في التي قبلها، أي أن الذي أوجد هاته العوالم لا يعجز عن حفظها).(١)

والجملة الكريمة تؤكد ما دل عليه مفتتح آية الكرسي: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ من تفرده تعالى بالألوهية والعبودية، لأنه إذا كان الله يحفظ السماوات والأرض وما فيهما فكيف يُعبد غيره أو يشرك غيره معه في العبادة؟

وأصل كلمة ﴿يَئُودُهُ﴾: آده الأمر أوْداً وأَوَداً: بلغ منه المجهود والمشقة، يقال: آدني يؤدني: أي أثقلني، وقال أهل اللغة والتفسير في ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾: ولا يكرثه ولا يثقله ولا يشق عليه.(٢)

قال ابن كثير: (أي: لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وهو القاهر لكل شيء، الحسيب على كل شيء، الرقيب العلي العظيم، لا إله غيره ولا رب سواه).(٣)

قال ابن تيمية: (﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/ ٢٤.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٧٤، مادة: (أود).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٣، وانظر: معالم التنزيل ١/ ٢٤٠.

قدرته وعيب في قوته).[١]

وإنما اقتصر عز وجل على ذكر الضمير (هما) العائد على السماوات والأرض، ولم يتعرض ﷻ لذكر ما فيهما لما أن حفظ ما في السموات والأرض تابع لحفظ الله للسموات والأرض.[٢]

ومن المعاني التي يتضمنها حفظ الله للسموات والأرض وما فيهما حفظه لجميع خلقه بهدايتهم وتيسير أمور معايشهم، ودفع ما يضرهم، فهو سبحانه الذي يحفظ جميع مخلوقاته بنعمه، ويخص الصالحين من عباده بحفظ خاص، فيدفع عنهم كل سوء في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «احفظ الله يحفظك».[٣] فإذا حفظ المسلم ربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حفظه الله بتوفيقه إلى الخير في الدنيا والآخرة، وحفظه من كل شيطان.

والحفيظ من صفات الله عز وجل، ومعناه: الصائن عبده من أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه، والذي لا يعزب عن حفظه من الأشياء كلها مثقال ذرة في السماوات والأرض.

ومن المعاني التي يتضمنها الحفظ حفظ الله أعمال عباده وإحصاءها عليهم، قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ (المجادلة: ٦)، فقد وكل الله ببني آدم حفظة من الملائكة يحصون عليهم ويكتبون كل خير وشر وطاعة ومعصية، وهذا يقتضي إحاطته تعالى بأحوال العباد كلها الظاهر منها والباطن. فالله عز وجل لا يثقله حفظ هذه المخلوقات العظيمة - بكل معاني الحفظ - بل إن ذلك عليه يسير.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ١١٠.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ١/ ٢٤٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح (٢٦٦٣)، والترمذي في سننه، ح (٢٥١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المبحث الحادي عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

إن هذه الجملة من تمام ما ذكر قبلها، قال ابن عاشور: (وعطف ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ على ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لأنه من تمامه) (١).

والجملة تفيد الحصر، لأن طرفيها معرفة وهما: ﴿وَهُوَ﴾ و ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فمعنى الجملة على هذا: وهو وحده العلي العظيم، المتفرد بالعلو والمتوحد بالعظمة والسلطان، فالجملة تتضمن معنيين:

أولهما: إثبات صفة العلو والعظمة لله تعالى.

ثانيهما: نفي وصف العلو والعظمة عن غير الله تعالى. فلا عليّ إلا الله جل جلاله، ولا عظيم إلا هو تبارك وتعالى .

و ﴿الْعَلِيُّ﴾ صفة مشبهة، والصفة المشبهة تكون لازمة لا ينفك عنها الموصوف، فعلو الله عز وجل لازم لذاته، وله سبحانه جميع معاني العلو: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وعلو الأسماء والصفات، فجميع معاني العلو ثابتة لله عز وجل من كل وجه، فله علو الذات فإنه فوق المخلوقات، وعلى عرشه استوى، وله علو القدر وهو عظمة صفاته وعلوها، فلا يشبهه صفة مخلوق، بل لا يستطيع الخلق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته العلى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠)، ليس كمثله شيء في كل صفاته وهو السميع البصير، وله علو القهر، فهو الواحد القهار، قهر الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يدافعه دافع، وما لم يشأ لم يكن.

وقال ابن تيمية: (واسمه "العلي" يفسر بهذين المعنيين، يفسر بأنه أعلى من غيره قدراً، فهو

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٣/ ٢٤.

أحق بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون، وهذا يتضمن كونه خالقًا لهم وربًا لهم، وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه).[١] فهو تعالى العلي فوق خلقه، والمتعالي عن الأشياء والأنداد، والعلي بالملك والسلطنة.[٢]

وقد ورد اسم ﴿الْعَلِيُّ﴾ لله جل جلاله في عدة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (لقمان: ٣٠)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٣)، وقوله جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١٢).

فهو تعالى ذو العلو المطلق، وأما العلو المقيد فإنه يثبت للآدميين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)، أي: على الكفار لا مطلقًا، لكن العلو المطلق لله عز وجل فهو سبحانه وتعالى العلي الذي ليس فوقه شيء، والقاهر الذي لا يغلبه شيء.

وأما ﴿الْعَظِيمُ﴾ فهو صفة مشبهة، ومعناها: ذو العظمة، وهي القوة والكبرياء، فهو تعالى الكبير الذي لا شيء أعظم منه، وكل شيء أمام عظمته صغير حقير، فهو عظيم القدر والشأن، وهو القوي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله وعظمته أنوف المتكبرين. قال ابن عباس: "العظيم" الذي قد كمل في عظمته"[٣]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٥٨.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٤٠.

(٣) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان، ٥/ ٤٠٥.

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ».(١) إن الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده. ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل كمال، له من الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، فله القدرة النافذة والكبرياء والعظمة، وله العلم المحيط، السماوات والأرض في يد الرحمن أصغر من الخردلة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧).

ثانيهما: لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله، فيجب على عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، ومن تعظيمه تعالى أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (الحج: ٣٠)، ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه.

وقد ورد اسم "العظيم" لله جلا جلاله في آيات أخرى في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ٧٤)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة: ٣٣)، وقال جل جلاله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: ٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح (٨٨٩٤)، وأبو داود في سننه، ح (٤٠٩٢)، وابن ماجه في سننه، ح (٤١٧٤)، وصححه الأرنؤوط.

وبهذا المبحث أكون قد أتيت على ما تيسر له جمعه وتأليفه في إيضاح آية الكرسي - حسب طاقتي الضعيفة - وقبل أن أضع عصا التسيار، أنتقل إلي ذكر مركز لخلاصة البحث، وحصاد الذهاب والإياب في خاتمة المطاف - أسأل الله تعالى حسنها - فانظرها في الصفحات التالية:

الخاتمة

هذا، ولا أدعي في هذا البحث الاستيعاب، إذ لم يكن من خطة هذه الدراسة أن تستوعب كل ما يتعلق بآية الكرسي من شاذة وفاذة، وإنما صورة الأمر كما قيل: (يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق). ولقد كان أهم ما هدفت إليه هذه الدراسة أن تبرز بمجموعها النقاط التالية:

١) لآية الكرسي مكانة عليا، فهي أعظم آية في القرآن، وفيها اسم الله الأعظم، وقارؤها بعد الصلاة في ذمة الله تعالى، ولا يحول بينه وبين الجنة إلا الموت، ومن قرأها عند نومه يصير معه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

٢) لقد دل مفتتح آية الكرسي على أن الله تعالى هو المتفرد باستحقاق العبودية، فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لأحد سواه كائناً ما كان، وهذا هو المهم الذي أرسل الله من أجله الرسل، وقد قاموا كلهم بالدعوة إليه، فجزى الله كل نبي عن أمته خير الجزاء.

٣) إن الله تعالى هو الحي الحياة الذاتية الكاملة التي لم تأت من غيره، وليس لها انقطاع ولا زوال لا قبل ولا بعد، وهو تعالى القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن خلقه، وما من شيء إلا وقيامه بأمره، وتفرده سبحانه بهذه الحياة دون من سواه، وتفرده بإقامة أمر الخلق أحد الدلائل على تفرده تعالى باستحقاق الألوهية دون غيره.

٤) كونه تعالى قيوماً يستحيل معه أن تأخذه عز وجل سنة أو نوم، فهو تعالى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول، بل هو تعالى قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء.

٥) لله تعالى ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً وحده دون سواه، فهو المالك وما سواه مملوك، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وجميع ما في السموات والأرض ملكه، وعبيده مقهورون بعزته خاضعون لمشيئته، وهو الرقيب عليهم، فالواجب أن نخضع له خضوع تذلل وخشوع وطاعة، ولا نعبد إلا هو.

٦) لا يجرأ أحد على أن يشفع لأحد عند الله عز وجل إلا بإذنه له في الشفاعة، وفي هذا إبطال لزعم المشركين أنهم ما عبدوا غير الله إلا ليشفعوا لهم عنده تعالى، كيف هذا وعلم الله تعالى محيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهذا يبين سبب منع الخلق من الشفاعة إلا بإذنه تعالى، لأنه وحده عالم بأحوال الشافع والمشفوع له.

٧) لا يعلم أحد شيئًا من معلوماته عز وجل وذاته وصفاته إلا ما أعلمه الله تعالى، وإن علم الخلق كائنًا من كان ناقص. وهذا العلم الإلهي الكامل المحيط بكل شيء لهو من أعظم الأدلة على تفرده تعالى بالألوهية والعبودية.

٨) وجوب الإيمان بوجود الكرسي وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، وله حقيقة وليس شيئًا معنويًا.

٩) يحفظ الله السموات والأرض ولا يثقل عليه ذلك، وهذا دليل على تفرده تعالى بالألوهية والعبودية، وبطلان عبادة ما سواه.

١٠) الله جل جلاله هو (العلي) الذي ليس فوقه شيء، (العظيم) الذي كل شيء أمام عظمته حقير صغير.

وبعد: فتلك أهم المسائل التي حاولت هذه الدراسة إبرازها، والله تعالى أسأل أن يوفقني فيما قصدت، وأن يسبغ عليّ فضله وإحسانه فيما أحسنت، ويغمرني بعفوه وغفرانه فيما أسأت وزللت، والحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس أهم المراجع

١) البحر المحيط، للإمام أبي حيان الأندلسي، مطبعة النصر الحديثة بالرياض.

٢) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للإمام أبي محمد البغوي، تحقيق/ خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت ط١/ ١٤٠٦ هـ.

٣) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للقاضي ناصر الدين البيضاوي، ط/ دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٠٨هـ.

٤) تفسير التحرير والتنوير، للأستاذ/ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

٥) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، للقاضي أبي السعود، دار إحياء التراث العربي.

٦) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق/ محمود شاكر، ط/ دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٧) تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٣/ ١٣٩٨هـ.

٨) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام أبي عبد الله القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢/ ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٩) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بدون.

١٠) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للحافظ ابن كثير، مكتبة التراث الإسلامي ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل)، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار إحياء الكتب العربية.

١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي،

دار المدني بجدة ١٤٠٨هـ.

١٣) زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط١/ ١٩٨٤م.

١٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، للشيخ صديق حسن خان، مطبعة العاصمة ١٩٦٥م.

١٥) فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، ط١/ ١٩٩٣م.

١٦) فضل آية الكرسي وتفسيرها، د/ فضل إلهي، مكتبة المعارف بالرياض، ط١/ ١٤١٥هـ.

١٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبي القاسم الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

١٨) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم، مكتبة المعارف بالرياض.

١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي ابن عطية الأندلسي، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٢هـ.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية 50

ملخص البحث باللغة الإنجليزية 52

مقدمة 54

خطة البحث: 55

المبحث الأول: فضل آية الكرسي..... 56

المبحث الثاني: تفسير قوله عز وجل: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ 62

المبحث الثالث: تفسير قوله عز وجل: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ 67

المبحث الرابع: تفسير قوله عز وجل: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾..... 73

المبحث الخامس: تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ 77

المبحث السادس: تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾..... 82

المبحث السابع: تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾..... 87

المبحث الثامن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾..... 91

المبحث التاسع: تفسير قوله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ 96

المبحث العاشر: تفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ 99

المبحث الحادي عشر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.....101

الخاتمة.....105

فهرس أهم المراجع.....107

فهرس الموضوعات 109

بحمد الله تعالى